

صاحبة جديدة على اللغة العربية

٢

المعنا في العدد السالف من جريدتنا الى ان الساعين في نحو اللغة العربية الصحيحة من الوجود قد استنبطوا لهذه الغاية حروفاً لا حياة اللغة المصرية العامة - حروفاً افرنجية تقرب من تعلمها من اللغات الا فرنجية وتقصيه عن لغة كتابه ودينه واسلافه الذين يفتخرونهم ويباهي بعلومهم وآدابهم ويقطع النسبة بينه وبين مشاركيه في الدين واللغة من أهل البلاد الحجازية المقدسة وسائر البلاد العربية التي تكتنف البلاد المصرية وترجو ان يلمع نور احياء العربية من روع مصر وكنافها فيستضيء به كل من ينطق بالاضاد جاء في أول الكراسة التي ألفت في بيان فوائد هذا الاختراع ان الذي « استنبط هذه الحروف (ولهم سبتاً) بك أمين الكتبخانة الخديوية اللغوي الالماني المحقق الذي توفي سنة ١٨٨٣ وهو في الثلاثين من عمره . وقد استعمل لذلك بدرس حروف الهجاء وأسايلها في كل لغات الارض ولا سيما تغيرات حروف الهجاء اللاتينية المستعملة الآن في أوروبا وأمريكا »

وجاء فيها أيضاً مانصه « وألف سبتاً بك كتاباً المانياً في صرف هذه اللغة العربية المصرية ونحوها وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي وضع للغة من اللغات العربية العامة . وجمع كتاباً أيضاً في الامثال العامة وقصصاً في اللغة العربية المصرية وترجمها الى اللغة الفرنسية . وكان عارفاً تمام المعرفة باللغة المستعملة في كل قطر المصريح ومحباً للمصريين وغيوراً على مصالحتهم ومهماً بخيرهم ونجاحهم » اهـ

أما هذه المحبة والنيرة فإن آثارها تشبه آثار العداوة والبغضاء متى وجد غربي يسعى في خير الشرق للشرق ؟ أما أنه لم يوجد إلا أناس تظاهروا بأعمال مفيدة لأهل الشرق فساعدتهم عليها أهل الشرق لكنهم لم ينالوا منها إلا الحرمان واجتني ثمارها دونهم الماء لون (تأمل ترعة السويس وغيرها) أنهم ليختلبون عقولنا بالقول المموء الظاهر الذي يخدع به المعتقدون عظمتهم والمشهدون صدقهم في بلادهم وابني أوطانهم ولكن أصحاب البصائر يعرفونهم في لحن القول ويتسمون أغراضهم من مطاوي الكلام بل يتهمونهم في كل ما يدعون وإن لم يظهر فيه وجه للخديعة عملاً بالقاعدة العامة التي عرفوها بالاختبار وهي أن الغربي لا يعمل عملاً إلا لمنفعة وطنه وأمته . على أن بعض دعاويهم الكاذبة لأصلاح الشرقيين هي من الظهور بحيث يراها العميان ولا تخفى على الصبيان (نعم أنها تخفى على الخشب المسندة) كالمسألة التي نحن فيها الآن . أما حجج صاحب الكراسة الأربع فهي داحضة عند من يبصر ويسمع وأنا نشرح ذلك بالتفصيل الذي يسمح به المقام على ما وعدنا في العدد السالف فنقول :

قال مبین فوائد الاختراع ومؤلف الكراسة (ولاندری من هو ولا سبب اخفاء اسمه ولعله للاخلاص في هذه الخدمة) « ان نتيجة ذلك ستكون خيراً على القطر المصري . أولاً ان استعمال هذه الحروف يفيد تجارياً لانه اذا قدر التجار الاجانب والعملاء الذين يرسلونهم الى القطر المصري أن يتعلموا اللسان المستعمل هنا بحروف سهلة التعلم فكثيرون منهم يتعلمون هذا اللسان فيصير التاجر المصري قادراً على المعاملة معهم بلسانه من غير

أن يتعلم اللغة الانكليزية او اللغة الفرنسية فتسهل المعاملة التجارية والاجتماعية على كل طبقات الناس »

(المنار) ان سهولة المعاملة التجارية على الاوربيين وتعميمها في القطر هي نكبة شديدة على المصريين بل جائحة تلتف عليهم ثمار اعمالهم بل تنزع منهم جميع ما بأيديهم من مال وعقار وتجعلهم اجراء للسادات الذين يمتلكون بلادهم بما لهم من المهارة في الكسب والحدق في استثمار الارض . ثم يعم بلادهم الفجور والخور التي تسلبهم ما ينقده لهم السادة المالكون من الاجور على اعمالهم اليومية وتكون فائدتهم انهم خرجوا من كل شيء وفقدوا كل شيء واتقطع أملهم من كل شيء الا الحركة الدائمة في خدمة ساداتهم العظام كسائر الدواب والانعام . والسعادة لمن يفوز بدوام خدمتهم فانهم اذا تمكنوا في الارض يستقنون بالآلات الصناعية عن المال والصناع الا قليلا منهم ويضطر أهل البلاد الاصليون الى الهجرة والجلاء الامن يلتصق بهم ويتجنس بجنسيتهم لغة وديناً * لا مبالغة في القول فهذه طبيعة الوجود الانساني تنطق بكل لسان بأن العالم يستخدم الجاهل والقوي يستولي على الضعيف ما وجد الاول للوصول الى الآخر سيلاً ، وليس بمد المشاهدة معاندة ، ومع البيان لا يحتاج الى برهان .

قال مختلق الفوائد : « (ثانياً) ان لاستعمال هذه الحروف فائدة كبيرة في التعليم فان عامة المصريين مثل عامة الشعوب الأخرى لا يمكن تعليمهم ما لم يتعلموا في المدارس اللغة التي يتكلمونها وتعلموها بواسطة حروف هجائية بسيطة سهلة المأخذ . الخ

(المنار) ان الغرض من تعليم وتعلم القراءة والكتابة هو

نشر العلوم والفنون فأني علم وضعت فيه المصنفات وأي فن دونت فيه الدواوين باللغة العامية المصرية فيسهل تناوله من ككتب، على من قر وكتب، ؟ يوجد في اللغة العربية الصحيحة الوف والوف الوف من كتب العلوم والفنون في اللغة وآدابها وفي الدين من عقائد واخلاق وشريعة وفي جميع الفنون القديمة والحديثة، فهل يكون صعود المصريين في مراقبي التعليم الى قنة السعادة العليا بترك هذا كله وتعلم اللغة العرفية في المدارس بحروف افرنجية ؟ أظن أن الكتابة بالحروف الافرنجية تكون عزاء لهم عما فقدوا، وعزاً وشرقا فيما وجدوا، لأنها افرنجية . ١١

لعل الساعي بنشر هذا الاختراع يقول في تعويمه وخلايقه : ان المصريين اذا اقبلوا على تعلم هذا الخط وعم ار جاء القطر يتعلم الاجانب لغتهم واذا تعامروها ومازجوا أهلها كمال المازجة يحملهم حب الانسانية على تأليف كتب بها في جميع الفنون فيصبح القوم في جنة من المعارف عالية، قطوفها منهم دانية، : ويسهل علينا أن نقول في جوابه (اولا) ان هؤلاء الاجانب لا يحبون منفعة أحد من العالمين الا ابناء جنسهم . ومن يوجد منهم محبا للانسانية لا تتناول محبته أهل الشرق لانه يعتقد خروجهم من نوع الانسان (ثانياً) اذا سلمنا انهم محبون لكل انسان، ومخلصون بنشر المعارف في كل مكان، فلا نسلم انهم يقتدرون على ابراز علومهم في قوالب هذه اللغة السخيفة، والباسا هذه الخلقان الضيقة، كيف وهم يزعمون أن اللغة العربية (سيده اللغات) لا تفي ببيان مختراعاتهم، وقاموسها المحيط لا يحيط ببعض مكتشفاتهم، وانها هي التي قصرت بينها عن التوسع في العلوم والفنون العصرية، كذب الخالبون ان اللغة العربية

ما قصرت ولكن قصرت المهم ، وان الامم لا ترتقي بلغاتها ولكن اللغات
ترتقي بالامم ، والوجود اعدل شاهد ، لا ينكره الامكابر او معاند ، (ثالثا)
اذا فرضنا انهم يقدرّون على جعل هذه اللغة الفقيرة لغة علوم وفنون
وانهم بعد ان يتعلمها الشعب المصري بحروفهم يتعلمونها ويؤثثون فيها
الكتب المطلوبة - فهل يكون هذا اسراعاً في ارتقاء المصريين ، مع أن
الشروع به لا يمكن الا بعد عشرات من السنين ؟ كلا ان قوله ان المصريين
لا يمكن تعليمهم ما لم يتعلموا في المدارس لغتهم التي يتكلمون بها بحروف
سهلة كهذه الحروف قول جاء على خلاف الحقيقة ، والصواب انهم اذا
اقتصروا على تعلم لغتهم هذه يحرمون من كل علم سواء كان تعلمها بحروف
افرنجية ، ام بحروف سماوية ، واذا تعلموها مع غيرها من اللغات التي يمكن
تحصيل العلم بها كلغة اجدادهم ، اولئنا الطامعين فيهم ، فانها تكون عائقاً
لهم عن التعلم والتحصيل لانها تزامم العلوم النافعة وتأخذ زمناً من وقتها
فاذا قيل انه لا يمكن تعلمها هي (اللغة العامية) الا بمثل هذه الحروف السهلة
قلنا ان نهيق (الحمازة) وصلصلة (الهمزة) ونزيب (الغزاة) وبغو مها « صوتها »
يكذب هذا القول فان لم يقنع قائله سلطت عليه (الشيطان) (*) فهو أولى
باقناعه من الحيوان . نعم يعسر تعلم العامية بالحروف العربية اذا كان
مشروطاً معه عدم تعلم شيء من العربية (كما هو المقصود) ولكن هذا
ضرر على المصريين لا نفع لهم فليكن متعذراً لا متمسراً .
قال مبتدع القوائد :

(*) الحمازة والهمزة والغزاة والشيطان : اسماء جرائد كانت تصدر باللغة العامية

وقد فسرناها في هامش هذه الطبقة لأن أكثرها نسي

«(ثالثاً) ان استعمال هذه الحروف يحفظ اللغة العربية (أي العامة) فان كل تلميذ في المدارس العليا يتعلم الآن الانكليزية او الفرنسية ولا تمضي مدة طويلة حتى يشيع تعليم اللغات الاجنبية في المدارس الابتدائية أيضاً في المدن والارياف فيضطر اغلب السكان الى تعلم لسان أجنبي فكم تبقى اللغة العربية بعد ذلك سواء كانت عربية او غير عربية؟ كم بقي الى الآن من اللغة القبطية وقد كانت اللغة العامة في هذا القطر؟ وكم تبقى عربية أهل الجزائر حيث صارت المدارس فرنسية؟ فالطريق الوحيد لحفظ اللغة العربية مما حل باللغة القبطية هو حفظ اللسان الحي من انضباع باستعمال حروف هجائية يكتب بها»

(المنار) ان هذه النصيحة «لو كتبت - كما قال الف ليلة وليلة - بالابر، على آماق البصر، كانت عبرة لمن اعتبر» اذا كان أدهى الناس وأشدّهم حذقاً في الخلافة والحداثة هو الذي يستطيع أن يبرز المضرة في صورة المنفعة، ويقيم من الحزني والشقاء مثالا للفوز والسعادة، فلا جرم ان من ينخدع له يكون أحق الناس وأرسخهم قدماً في البلادة والهمجية. لقد وضع صاحب هذه الكراسة أصلاً صحيحاً وبني عليه حكماً باطلاً. الاصل الصحيح هو أن اللغة العربية معرضة للتلاشي والاحياء من القطر المصري الذي يتبعه سائر الاقطار لان من سنة الله تعالى في الكون ان الضعيف يقلد القوي والمغلوب يحتذي مثال المتغلب عليه في سائر شؤونه وبذلك انتشرت اللغة العربية في بلاد الروم والفرس والبربر وانتشرت اللغة الانكليزية في اميركا واستراليا...

كانت هذه السنة جارية مع عدم مجازاة المتغلبين لها ومساعدتها بقهر

المغلوبين واجبارهم على تقليدهم واتتعال عوائدهم ودينهم ولغتهم او بأخدم
بالتربية والتعليم اللذان يفيدان مالا يفيد الالتزام والا كراه كما تعلم من تاريخ
دولتي الاسلام العظيمتين العربية والتركية . فكيف يكون سيرها اذا
ساعدتها المتغلب عن عقل وحكمة فسهل امامها الطرق ومهد لها العقبات ؟
ان الممارسة كما تكون في القواعد الفكرية والشرعية تكون ايضا في السنن
والتواميس الطبيعية ويمكن للانسان في هذه ان يقوي المرجوح ويضعف
الراجح بما يهديه اليه العلم فيختلف الترجيح .

كانت اللغة العربية سائرة على سنن الطبيعة مع فتوحات الاسلام
فعارضها ما اوقف سيرها في بلاد الفرس وغيرها ثم ارجعها القهقري ولو
كان لها انصار عارفون بعلم طبيعة الكون لا مكنهم ازالة تلك العوارض
وجعلها لغة جميع من اظله لواء الاسلام . ان الامم العربية هي التي افادها
العلم الطبيعي ما تقدر به على محو كل لغة تبوأ أرض أهلها اذا لم يعارضها
أهل تلك اللغة بما يدفع تيارها عن علم وبصيرة . وما يقال في اللغة يأتي في
الدين وفي سائر الشؤون . هذا هو الاصل الصحيح الذي جاء به صاحب
الكراسة و اشار الى اثباته بشهادة التاريخ وقد زدناه بيانا وايضاحا .

واما الفرع الباطل الذي بناه على هذا الاصل فهو انه يجب معارضة
الناموس الطبيعي الذي ذكره بنبذ اللغة الدرية ظهريا وتعلم العامية (التي سماها
عربية) بحروف افرنجية أيها الاحق بل العاقل المستحق لجميع المصريين اذا
كانت لغة العلم والدين لا تقوى على صده هذا التيار المنحدر ولا يمكنها البقاء معه
(كما زعمت) فأني يمكن بقاء هذا الهذرو الخطل والكلام المساط (الذي
لا نظام له) ألا انك تعلم ان ما قلت انه يحفظ العربية هو اجهل ازسريع عليها

ولكنك غوي مبین . لا رب اننا في أشد الحاجة الى تغيير طريقة التعليم التي عليها أهل الازهر وسائر المدارس العربية والى اعصار فيه نار تحرق الكتب المملوءة بالآراء والخلافات والشكوك والظنون والخرص والتخمين والايجاز المخل والتطويل الممل . . . والا فلا يمكن ان نخطو خطوة ، أو نهض من كبوة ، والبحث في هذا من أهم ما نشيء له المنار ولكل قدر أجل ، ولكل وقت عمل . . .

قال منتحل القوائد : « (رابعاً) ان هذه الحروف تقل بها نفقات الطبع فيسهل تأليف كتب جديدة متقنة للتعليم ويزول بها خليط اللسان المستعمل الآن في القطر المصري لانها تسهل على الاجانب تعلم لسان السكان فيصرون يستعملونه في مخاطبة الاهالي بدل لغاتهم المختلفة ويسهل بها استعمال آلة الخط »

(المنار) أما قلة نفقات الطبع فلا شك فيها بل ان الطبع ينعدم بالكلية إلا من الاجانب لان هذه اللغة لا يمكن ان تكون لغة علم ولا هي لغة دين فلا حاجة الكتب تطبع فيها الا ما يتعلم به الخط المخترع وبكفي له الكراسة التي ألفها وأمثالها من الرسائل الصغيرة التي يمكن طبعا في المطابع الانجليزية (وهي كثيرة في مصر) وتنطس رسوم المطابع العربية بتعميم هذا التعليم ويستغني عما طبع وعما كتب بالحروف القديمة واللغة البائدة ويكون ذلك من الاقتصاد وتقليل النفقات التي تستفيد بها البلاد المصرية !!!

(نعوذ بالله من الوقاحة ومن غمط الحق واحتقار الناس) أما قوله « ويزول بها خليط اللسان الخ » فهو مما لا رب فيه أيضاً ومما يحسن التنبيه عليه ان اللغة العامية التي لا جليها استنبط هذا الخط المخترع (كما زعم) هي مما يزول قبل اللغة العربية الصحيحة لان هذه تتوكل على الدين فلا تحقق بالكلية حتى لا يبقى له بقية (والعياذ بالله تعالى) كما هو شأن اللغة اللاتينية

في البلاد الاوربية. يزول هذا الخليط كما قال ولا يبقى الا لغة أو ثنتان من اللغات الاجنبية وهذه هي العلة الفاتية للاختراع والاهتمام في نشره وقوله « وتقوى الرابطة الوطنية بين كل طوائف السكان » يصدق بالوطنية الاجنبية الطارئة فانها هي التي تبقى ويزول كل ما عداها فمن أمكنه ان يلتصق بها كان من أهلها وينقرض باقي الامة كما انقرضت هنود أميركا وبهذا الشرح تفهم النتيجة التي استنتجها حق الفهم كما يفهمها هو لا كما يريد ان يفهمها المصريون وهي قوله « ونتيجة ذلك جعل الامة المصرية أمة متعلمة عزيزة الجانب متحدة الكلمة » ولا يكون ذلك الا بقطع كل علاقة ورابطة بينها وبين ما يتصل بها من الاقطار وتعميم لغة أجنبية فيها ليتمكن أهلها في الارض ويكونوا هم الوارثين. عند ذلك تكون الامة التي تتبوأ مصر عزيزة الجانب كما هي عزيزة الجانب في سائر الاقطار والامصار !!! اذا أتى ما شرحناه على المتحدثين من المصريين ينفخون رءوسهم ويحدجون بأبصارهم ويقولون « اكبار وتهويل، وصياح وعويل، وما هو الا كلام بكلام » أما العقلاء فيعلمون انه كلام حق وان الافرنج اذا قالوا فملوا، واذا عملوا أدركوا، وانهم مداخلوا قرية، ولا خالطوا أمة، الا أفسدوا كيائها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون

ان نفوس سكان الولايات المتحدة نيف وسبعون مليوناً وليس فيهم هندي من السكان الاصليين. لا أبعد عليك في المثال هذه بلادك التي تسكنها أيها الغافل انظر فيها ان كان لك بصر، واعقل ان كان لك لب، ثم ارجع الي باللوم والتنفيذ، أو بالشكر والتحييد، (*)

(٥) اني لم اقرأ هذه المقالة بعد كتابتها الا عند اعادة طبعها الآن أي بعد